مـــاذا ينتظر .. ليـــستقيل .. ؟!

بقلم : أحمد طلعت

الحادث الذى راح ضحيته ٢٦ تلميذا ومدرسا على طريق سفاجا فى الاسبوع الماضى هو حادث مروع ومؤسف ، استفز مشاعر الرأى العام رغم (التعتيم) المقصود من اجهزة الاعلام (القومية) ومحاولة التقليل من حجمه .. ومن مغزاه ..

حادث كهذا - فى دولة محترمة - كان ينبغى أن يلقى اكبر اهتمام من اجهزة الاعلام ، تنشر الصحف اخباره فى صفحاتها الأولى وبالعناوين العريضة ، وينتقل التليفزيون بعدساته ومندوبيه الى مكان وقوع الحادث ، يغطون تفاصيله ، وظروفه ، ويذهبون الى المستشفيات لاعطاء بيانات مفصلة ودقيقة عن حالة المصابين واحتمالات شفائهم ، ويجرون مقابلات مع عائلات القتلى ، ويسألون المختصين فى وزارة التربية والتعليم ، وفى شركات التأمين ، الى آخر ما يمكن ان يتناسب مع فداحة الكارثة ، وضخامة عدد الضحايا ..

وكلنا نذكر عندما وقع طفل (واحد) فى حفرة عميقة فى ايطاليا ، كيف انتقل رئيس الجمهورية الايطالية بنفسه الى مكان الحادث ووضع (كرسيا) الى جانب الحفرة ، ليتابع شخصيا جهود رجال الانقاذ ، ومحاولات اخراج الطفل الصغير .. ! !

لكننا - فى مصر - اكتفينا بنشر سطور قليلة عن الحادث ، وتوسعت بعض الصحف فنشرت عامودا او عامودين ، دون أن يكلف اى مسئول نفسه مشقة الانتقال الى مكان الحادث ، أو يجهد جهاز التليفزيون (القومى) نفسه فى تغطية ونقل تفاصيله وحالة المصابين الى الجمهور لحظة بلحظة ، كما يفعل فى مباريات الكرة ، أو الاجتماعات التى يحضرها كبار المسئولين ..

والمؤكد ان المسئولين فى اجهزة الاعلام (القومية) - بعد ان كثرت الكوارث والنكبات - ارادوا ألا يضيفوا آلاما جديدة الى آلام الرأى العام ، ظنا منهم ان ذلك يخفف عليهم او يقلل اهتمامهم .. ! !

لكن اجهزة الاعلام القومية مخطئة خطأ كبيرا ان هى تصورت ان مشاعر الجمهور يمكن ان تهدأ بهذه الوسيلة الساذجة ، أو يمكن ان تحتوى بهذا المسلك غير المسئول .

هذا من ناحية اجهزة الاعلام التى انشغلت عن الحادث بزيارة وزير خارجية جزر الموريشيوس واشتداد المنافسة بين الحزب الوطنى واحزاب المعارضة فى انتخابات المحليات .. ! !

أما من ناحية المسئولين ، فهم بطبيعة الحال مشغولون بمواجهة آثار الزلزال ، مع ان الزلزال كارثة طبيعية ، بينما حادث الاتوبيس لا يمكن ان يتم الا اذا تضافرت فيه سلبيات كثيرة ، واهمال جسيم ، وانعدام للرقابة على الطرق وعلى المركبات ، الى جانب التسيب واللامبالاة من المسئولين عن نقل كراكة ضخمة على الطريق العام بغير انارة ، أو اشارة ، او احتياطات أمن وسلامة ..

ولقد كان يجب أن يستقيل على الفور المهندس سليمان متولى وزير النقل والمواصلات لا من منطلق مسئوليته (التقصيرية) ولكن من منطلق مسئوليته الوزارية ، وهى المسئولية الادبية التى يتحمل بها فى اعقاب اى تقصير أو اهمال من الاجهزة التى يشرف عليها ، وليس على اساس مسئوليته (الشخصية) عن وقوع الحادث او الفشل فى تجنب وقوعه . ان الوزراء - فى الدولة المحترمة - لا يمارسون العمل التنفيذى بأنفسهم ، وبالتالى فهم لا يسألون عن المسئولية (التقصيرية) لكنهم بحكم اشرافهم على الاجهزة التى تتبعهم مسئولون مسئولية (ادبية) تحتم عليهم تقديم استقالتهم اذا وقع حادث يهز الرأى العام ، ويكون السبب فيه اهمال او تقصير الاجهزة التى تتبعهم .

لكن المهندس سليمان متولى - وطوال السنوات التى تولى فيها منصبه الوزارى - لم يخطر على باله ان يتحمل بالمسئولية الوزارية أو الادبية ، ووجد تبريرا لكل حادث أو فاجعة حدثت فى عهده ، وكان من ابرزها حوادث التصادم المتكررة بين القطارات ، وحوادث الغرق المتعاقبة للسفن ، وابرزها حادث السفينة (سالم اكسبريس) ثم اخيرا حوادث الطرق ، وكلها - مع الاسف - حوادث اسفرت عن مئات القتلى والضحايا ، بينما المهندس سليمان متولى يصنع اذنا من طين واخرى من عجين وكأن الأمر لا يعنيه ، أو ان هذه الاجهزة لا تتبعه ، ولا يتحمل مسئوليتها الوزارية .. انه يكتفى - فقط - بالأحاديث والتصريحات امام كاميرات التليفزيون عن التطور (الهائل) الذى احرزته الاتصالات التليفونية ، فالتليفونات - بطبيعة الحال - لا تسبب اية قتلى أو ضحايا .. ! !

أما شرطة المرور ، التى تسارع الى تحرير المخالفات ، وسحب الرخص ، وتوقيع الغرامات لان سيارة قد تعدت السرعة المسموح بها على طريق الاسكندرية الصحراوى ببضعة كيلو مترات فى الساعة ، هذه الاجهزة تركت (كراكة) ضخمة تقف على طريق سفاجا (ليلا) دون اضاءة او اشارة ، او علامة ، ولم تحرك ساكنا ، كأن واجبها ينحصر - فقط - فى تنظيم المرور على طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ، وأمام بيوت الحكام .. ! !

انها مأساة تلك التى وقعت ، لكن المأساة الأعظم هى ما سوف نسمعه فى الايام القادمة من الاجهزة المسئولة ، وكيف انها سوف تتسابق ليلقى كل منها المسئولية على الجهاز الاخر ، وزارة النقل على وزارة الداخلية ، ووزارة الداخلية على الشركة مالكة (الكراكة) ، والشركة مالكة الكراكة على السائق التعس الذى تلقى أمرا بنقل (الكراكه) من مكان الى مكان ..

وهكذا تضيع الحقيقة بين أجهزة مختلفة ، ويبقى حجم الكارثة كبيرا ، ويبقى المهندس سليمان متولى (متربعا) على كرسى الوزارة .. فالمسئولون عندنا اما على مقاعد الحكم .. واما فى مقابر (الخفير) .. ! !

ملحوظة :

فى عهد المهندس سليمان متولى اصبحت وزارة النقل والمواصلات اكثر فعالية من جهاز تنظيم الاسرة بأكمله .. ! !